

تلاحم العناصر الدرامية بالسياق التاريخي

في مسرحية (لالا فاطمة نسومر) المرأة الصقر لإدريس قرقوة

الدكتور: عبد العزيز بوشاللق

قسم اللغة والأدب العربي - جامعة محمد بوضياف بالمسيلة - ولاية المسيلة (الجزائر)

Bouchelalega47@gmail.com

ملخص:

تتناول مسرحية لالا فاطمة نسومر المرأة الصقر للكاتب إدريس قرقوة، جانبا تاريخيا من بطولات هذه المرأة، في صراع درامي، يرتبط فيه التاريخ بالواقع، وتتشابك دلالات الإيحاء في بعد درامي، يصل من خلاله إلى نقل المشاهد التاريخية في أحداث مختزلة، ويصبح الماضي حاضرا في لغة مسرحية مكثفة. ذات أبعاد دلالية تربط المتلقي بقراءتها، والمشاهد بعرضها، إلى عوالم اختصار التاريخ، وتداخل العناصر الدرامية، فيما يربط الصراع بالأحداث، لتبدو الشخصية المسرحية، مكتملة فنيا. وبذلك تتلاحم العناصر الدرامية بالسياق التاريخي، في مشهد فريد من نوعه.

الكلمات المفتاحية: مسرحية . لالا فاطمة نسومر . إدريس قرقوة . تاريخ . دراما .

Le resumé

La théâtrale (Lala Fatma Nsoumer) (la femme aigle) de l'écrivain (Driss karkoua) un aspect historique le courage de cette femme dans un conflit spectaculaire, lié à l'histoire et la réalité , donne des signes de suggérer à la formidable, jusqu'au cours duquel le transfert de scènes historique des événements , devient dernier présente dans la langue théâtrale intensives. Dimensions reliant bénéficiaire et Porter, aux mondes gain de l'histoire et du chevauchement des éléments dramatiques, qui relie les conflits mineurs , deviennent personnelle du spectacle, complétées fonctionnelle. Ainsi relie les éléments dramatiques le contexte historique, à Exposé unique.

Mots clés : La théâtrale . Lala Fatma Nsoumer . (Driss karkoua . l'histoire . drame

ملخص المسرحية:

المسرحية مشاهد حوارية تتحول إلى مونولوج فردي، تحاول أن تحاكي الواقع جبروته واضطهاد للنساء بكل المسميات والأساليب، ففاطمة امرأة جزائرية متعلمة وذكية وجميلة، اصطدمت بكل أنواع القمع الاجتماعي والفكري والجنسي، لكنها تحاول أن تفرض احترامها ككائن كامل الحقوق، على الرغم أنها متواجدة في مجتمع ذكوري مغلق على نفسه، شرس وقاسي وصعب ومتشدد ومتناقض في نفس الوقت، قادت الرجال العظام إلى ساحات القتال، واجهت أعتى قوة عرفها التاريخ الحديث، فرنسا بآلياتها وجنراتها، امرأة من أوائل النساء، كسرت القاعدة وواجهت المجتمع بالحقيقة، حملت السلاح وفرضت على إخوتها الخمسة المضي معها، في طريق المقاومة حتى أصبحت تلقب عند الجنود الفرنسيين بجاندارك الجزائر.

1 - سياقات التاريخ في بناء الحدث الدرامي

الحدث فن أدبي، كما أنه لا يشبه الحدث اليومي العادي، حيث يتميز من خلال الحركة والحوار بكونه يستوعب المكان والزمان على خشبة المسرح. يعلن الكاتب مباشرة الحدث التاريخي، الممثل في طلب شيخ القبيلة من ابنه سالم إيقاظ ابنة عمه فاطمة، يهرول سالم نحو فراش فاطمة يبحث عنها، ثم تطل فاطمة على الخيمة محاورة الشيخ. يتسارع الحدث الفعلي بشنّ القوات الفرنسية هجوماً على قبيلة أبي سالم بدليل الخائن غاسي الجودي، وهو أحد الخونة، الذي كان يوجههم من مكان إلى آخر حتى اكتسحوا القبيلة كلها، تقوى حركية الحدث عندما يربطها الكاتب بالشرف والنخوة والمروءة في الحوار الذي دار بينه وبين ولده سالم.

الشيخ: سالم أركب ابنة عمك حصانا لتفر بجلدها، يا أهالي القبيلة، الموت، الموت النار ولا العار... دافعوا عن أعراضكم ونسائكم.
أما فاطمة فرددت: سأموت معكم يا خالي¹

ينتقل الحدث إلى الخطاب الذي دار بين لالة فاطمة وإخوتها سي الهادي وسي الشريف وسي الطاهر وسي أحمد وسي محمد الطيب، يقع بينها وبين بعض إخوتها سوء تفاهم، ففي نبرتها ما يوحي بالغضب الشديد، لأنهم أرادوا تزويجها، وهي في المقابل ألحت على رفضها لهذه الفكرة. لأنها تريد الدفاع عن وطنها وشراء الجنة والجهاد في سبيل الله، كل ذلك يجسده هذا المقطع الذي يدور فيه الحوار بينها وبين أخوتها:

فاطمة: إلى متى تظلون حجارة مسندة؟

سي الهادي: وما تريد أن نفعل يا فاطمة

فاطمة: لم تجد ما تقول، خالك يقتل قبيلة بكاملها. 2

سي الشريف: كفى يا فاطمة فنحن أهل علم ودين ولا شأن لنا بفنون الحرب والقتال.
فاطمة: هه، ليتني كنت رجلا ما كلفت نفسي مشقة الجدل مع رجال لا يملكون غير أشباههم وصورهم.

سي الطاهر: ما هذا يا فاطمة! سكتنا عنك فتماديت في الحط من قيمة إختك، إن الفرنسيين بعيدين عنا، كما أنهم لن يفكروا في غزو ما تحت أقدامنا من أرض، فهي جبال مقفرة.
فاطمة: لالا لست أنت أخي سي الطاهر، أنت آخر، من كنت أتوقعه ينحو منحى البكائين.... لو كان أبي حيا لقاد بنفسه فيالق المجاهدين إلى ساحات القتال لتحرير الأرض من المغتصبين.
سي الشريف: لو كان أبوك حيا لرأى رأينا وكان له معك تصرف آخر.
ثم ينظر إلى أخيه الكبير سي محمد الطيب قائلا: فلتنظر إلى أختك ما حل بها.

فاطمة: ماذا حل بي؟ بل ألقوا أنتم أنفسكم يا أشباه الرجال
سي محمد الطيب: والله لقد تماديت كثيرا يا فاطمة، ولا يغرنك منا سكوتنا وطول حلمنا فإنما ذاك لأن أباك رفع لك قدرا ما ناله واحد منا 3

ثم تظهر أمينة زوجة سي الطاهر كشخصية معادية للالا فاطمة نسومر، حيث تحرض زوجها (أي أخ فاطمة) من أجل أن يقهرها على أداء واجبها الوطني، وبما سيتحدث الناس عن آل ابن عيسى، على أنهم خمس رجال بقوتهم وجبروتهم أذلهم امرأة وأصبحت لا تسمع لواحد منكم ولا تعبر كلامكم بشيء تخرج وقتما شاءت وتعود متى شاءت، حتى تدخل فاطمة وينقطع الحديث.

فمسرحية البطلة لالا فاطمة نسومر كانت من بدايتها إلى نهايتها مشوقة، فمن بداية الهجوم الفرنسي على خيمة لالا فاطمة نسومر إلى الجدل القائم بينها وبين أخوها على الزواج ورفضها لتلك الفكرة، وصراعها مع المستعمر ومع زوجة أخيها إلى أن أُلقيت في المعتقل حتى فارقت الحياة.

فالأسئلة التي تظل تراود فكر القارئ كثيرة في هذه المسرحية منها: ماذا سيفعل إخوة فاطمة بها إذا لم تتزوج؟ وهل تقتنع بالزواج من يحيى بن يخولاف؟ كيف ستواجه لالا فاطمة جيش فرنسا؟ وهذا ما نلاحظه في المنظر الرابع عشر.
لالا فاطمة: أخيرا جاءوا، هذا هو اليوم الذي انتظرناه طويلا، إما أن يدخلنا الله به عزا أو يلبسنا به ذلا.

"تلتفت إلى المجاهد صاحب الخبر"

لالا فاطمة: كم عددهم؟

المجاهد: عشرون ألف... مع بعض الخونة يتجاوزونها ببضعة آلاف

"تنظر لالا فاطمة إلى أخيها سي الشريف"

لالا فاطمة: وكم عدد الرجال الذين معنا؟

سي الشريف: سبعة آلاف رجل مع بضع مئات من النساء المجاهدات. 4

2 - بدايات تشكل الحدث الدرامي:

تضع البداية الأساس الذي يقوم عليه الحدث في المسرحية، فهي تحدد زمان ومكان الأحداث، كما تقدم الشخصيات على الأقل الرئيسية منها، وتخلق الحالة الشعورية أو الجو النفسي الذي يسود المسرحية، كما تحدد المنطق الخاص الذي يربط بين الأحداث، والبداية في المسرحية تضمن ما يسمى بالعرض أو تقديم الخلفية الضرورية من المعلومات اللازمة لتطور الحدث، أما الأحداث التي وقعت في الماضي فليس من الضروري أن يكتمل العرض في البداية 5، ويمكن القول: إن البداية لا يمكن أن يسبقها شيء آخر، فتتطلب في الوقت نفسه أن يلحقها شيء آخر؛ فالبداية يجب أن تكون محكمة وجيدة، لأنها هي الأساس الذي تقوم عليه المسرحية، فمن لا يستطيع أن يبدأ لا يستطيع أن ينتهي.

أما عن بداية الأحداث في مسرحية المرأة الصقر، فهي بداية الهجوم الفرنسي على قبيلة أبي سالم، وإطلاق الرصاص عليها وهذا يظهر في "المنظر الثاني" ثم يظهر الخائن غاسي الجودي كدليل يري الفرنسيين الأماكن، ليصلوا إلى القبيلة، ويأمر العقيد الجنود بالاستعداد للهجوم، ويبدأ إطلاق الرصاص وإضرار النار في شتى أنحاء القبيلة؛ فيفاجأ سكان القبيلة بذلك الهجوم، ويطلب الشيخ الدفاع عن الأعراض والنساء، ثم تركب فاطمة الحصان بإعانة من سالم.

3 - سيروية تطور الحدث الدرامي:

لأي عمل مسرحي أحداث تسير بانتظام وتسلسل في خط صاعد إلى الذروة ثم إلى خط نازل ثم إلى الحل، وهو يبني بترتيب تصاعدي، يتصاعد معه اهتمام المتلقي، ويتطور وتظهر بذلك جوانب مختلفة ومتعددة للشخصيات، من خلال تتابع الأحداث وتسلسلها " فالمسرحية تظل ناقصة حتى يكتمل الحدث ويصل إلى نهايته، لأن الحدث له بداية ووسط ونهاية 6 وتطور الأحداث في هذه المسرحية يبدأ من وقوف لالا فاطمة نسومر مخاطبة إخوتها تحثهم على الجهاد، وتحاورهم مرارا وتكرارا من أجل إقناعهم على التصدي ومواجهة الجيش الفرنسي، وعدم الرضا بحياة الذل والمهانة، والجهاد في سبيل الله وفي سبيل الوطن. تتأزم الأحداث وتتعدد، عند محاولة تزويجها ليحي بن يخولاف، وغضب الأم لالا خديجة، لالة خديجة: ابنتي ليست بضاعة تباع وتشترى على حسب هواك. سي الطيب: إنما سترتها يا أماه وما سعيت إلا لخيرها.

لالة خديجة: كيف تقبل بتزويج أختك لذلك الداعي يحي بن يخولاف، إنه فض غليظ القلب لا يصلح حتى لرعي الغنم.....

فكيف به يصون ويرعى ابنتي الوحيدة، لقد ضيعت أختك، ضيعت أختك.

سي الطيب: بل حفظت كرامتها يا أماه.

لالة خديجة: وأبوك ماذا تفعل بقوله ورأيه؟

سي الطيب: أسمع وأطيع.

لالة خديجة: وقد عصيته في هذه يا سي الطيب.

سي الطيب: كيف ذلك يا أماه؟

لالة خديجة: ألم يرفض والدك دوما تزويج أختك فاطمة لذلك الداعي؟

سي الطيب: نعم رفضه وما كان منه ذلك إلا لأن يحي كان على خلاف مع أبيه يخولاف، فقال طاعة الوالد أوجب، ومن عصى والده فليس له عندنا شيء.... أما اليوم فقد صالح والده وتوافقا

لالة خديجة: ليس ذاك أقصد..؟

سي الطيب: إنني لا أعرف غير هذا فما عندك يا أم؟ 7

لالة خديجة: لأن أباه ادعى المrabطة وتظاهر بالتنسك والورع وقد كان من العصاة عن شرع الله وحدوده.....

سي الطيب: تاب الله عليه و عفاه عما سلف.

لالة خديجة: وابنه يحي هذا، ألم يسلب أباه المrabطة وهو حي؟

سي الطيب: كان فضل من أبيه فتنازل له عنها.

لالة خديجة: أرى أنني لا أفتح بابا إلا وأوصدته ولا أذكر الرجل بشره إلا زينته وأظهرته أنه الخير كله

سي الطيب: أماه، أنا كبير العائلة، لا جدال ولا مماطلة، قد زوجت فاطمة ليحي ولن أعدل عن هذا، ولو دكت في صدري سيوف نسومر كلها.

لالة خديجة: إذن أنت وشأنك وما يلحق بأختك تتحمله وحدك.

"تدخل فاطمة"

لالة خديجة: فاطمة؟

فاطمة: نعم يا أماه، لقد سمعت كل شيء، وإني والله لن أقبل ذبح الشاة، وأن تبيعوني كما تباع الأمة في سوق النخاسة، إذا ما أرغمت على هذا، فسأدعو الله فيمنعني مما تسوقوني إليه.

لن أرضى عنك ما حييت يا سي الطيب.

سي الطبيب: لتفعلي ما بدا لك فالأمر ما اخترته لك، إنني خارج الساعة لتدبر أمر العرس والزفاف...

"بعد خروج سي الطبيب تعانق فاطمة والدتها وتجهش بالبكاء"8

ففي هذا المنظر ما يوضح لنا إصرار سي محمد على تزويج فاطمة يدل دلالة قاطعة أنه يكرهها ولا يرضى لها الخير، لتقف الأم في وجهه ورفضه تماما لأنه لا يناسب مقام ابنتها العفيفة الشريفة.

وما نلاحظه أيضا من بداية تأزم الأحداث هو نزول العساكر الفرنسية بأربع سفن حربية حاملة المدرعات والأسلحة والخيول والعربات بقيادة راندون والجنرال ماكماهون.

أما في "المنظر العاشر" يوضح وقوف فاطمة مع إخوتها على المرتفعات ليلاحظوا أن الجيش قادما نحوهم، وخوفهم على الهجوم والهلاك إلا أن نلمح روح التحدي والعزيمة قد بدا ظاهرا فيهم، فبدأوا في الرحيل من أرض نسومر متجهين نحو تاكلا، كل ما يملكون وهكذا تسير الأحداث من "المنظر العاشر".

"على إحدى مرتفعات قرية نسومر، لالة فاطمة وثلاثة من إخوتها، سي الشريف، سي الطاهر و سي الهادي وبعض الشيوخ، أحد الرجال يقبل نحوهم على جواده صارخا".

الرجل: الغوث، الإفرنسيون قادمون نحو نسومر بجيش جرار لم تشهد له المنطقة مثيلا 9

أحد الشيوخ: لن نزيد على ما قاله أسلافنا، المنية ولا الدنية، النار ولا العار.

آخر: لنعطى نساءنا وأبناءنا السلاح، وليقاتلوا معنا، فإذا هلكنا، هلكنا جميعا، ولم نترك خلفنا ذرية نخاف عليها السبي والإذلال.

الأول: نموت ولا نسلم لهم.

الطبيب: ولنبقى متحصنين نسومر.

لالة فاطمة: إن نسومر أرض مكشوفة، بقاءنا فيها سيعرضنا للهلاك.

سي الطاهر: لا أرى مكانا أنسب من قرية تاكلا فإنها محصنة بجبالها 10

لالا فاطمة: نعم الرأي ياسي الطاهر، إذن أمروا الناس بالرحيل عن نسومر نحو تاكلا قبل أن يداهمها الغزاة.

أخذ الناس في حمل مرضاهم وعجائزهم وأمتعتهم وساروا عبر المسالك الجبلية نحو قرية تاكلا وخلفهم أبناءهم الفرسان يحرسون مؤخرة الרכب، و لالا فاطمة مع أخويها سي الشريف وسي الطاهر يرقبون الموكب من بعيد.

أما في المنظر "الثالث عشر"، في قرية تاكلا، أحد المجاهدين وقد كان يراقب المنحدر يصيح منذرا.

النذير: الإفرنسيون، الإفرنسيون.

سي الطاهر: أختاه! لم نستكمل استعداداتنا بعد.

سي الطاهر: أختاه ابقِي أنت مع نسائنا وبناتنا ودعينا للحرب فإننا رجالها وفرسانها.

لالا فاطمة: بل جاء اليوم الذي انتظرتة طويلا.

"تنظر لالا فاطمة إلى من حولها من رجال ونساء فارسات" 11

وفي نهاية المشهد:

سي أحمد: لن يطول ليل الغاصبين.

لالا فاطمة: لن يطول.

"ساق القبطان فرانسوا وفرقتة الأسرى إلى المحتشد الذي أمر به المارشال ماكماهون، بمنطقة تابلاط. كانت لالة فاطمة نسومر قد جاوزت السابعة والعشرين من عمرها، وألقي معها في المعتقل إخوتها، سي الطاهر، سي الشريف، سي الهادي، سي أحمد، و سي محمد الطيب، إلى أن فارقت الحياة في المعتقل بمرض السل وهي في ريعان شبابها. 12

ظلت هذه البطلة من المكافحات والمناضلات اللواتي ضحين بكل ما أوتين من قوة في سبيل هذا الوطن الغالي، فكتب اسمها من ذهب في صفحات تاريخ الجزائر، كما كانت همزة وصل بين ملحمتها وثورة نوفمبر المجيدة.

4 - تفاعل الصراع في البناء الدرامي:

المسرحية عبارة عن حدث كامل قائم بذاته، والصراع مرتبط به، فالصراع ، وفيه علاقة صدامية بين طرفي الصراع، وهو غير الخلاف والمشاجرة، وإنما هو شحنة ملتهبة تضرب المسرحية من أولها إلى آخرها وتنتهي بالمسرحية نحو هدفها النهائي المراد الوصول إليه 13 لأنه "يمثل جزءا هاما من البناء الدرامي للمسرحية، لا يمكن تجاهله فإنه ينصهر ليظهر في بنية المسرحية من حيث حوارها وشخصياتها وأحداثها" 14 إن الصراع مرتبط بالشخصيات التي تكشف وتعبر عنه، ويختلف حسب المواقف، فقد يكون ساكنا أو متحركا " كما أنه " ينشأ من جهل أحد الطرفين بحقيقة الطرف الآخر... رغم اشتراكهما في العلم بقسط من هذه الحقيقة... إنه في الواقع تطور للمفارقة الكامنة في الموقف، وليست مفارقة آلية أو شكلية... وهي ليست أيضا مفارقة خارجية.. إنها مفارقة داخلية دفيئة كامنة في العلاقات بين الطرفين، إنها باختصار مفارقة الفرقة الكامنة في الواحد... ذلك لأنها مفارقة الضد في الشبه فهي تحتم الصراع، وبدونها لا يمكن للصراع أن يتحقق بمعناه الدرامي 15 وقد يكون الصراع بين شخصيتين أو بين شخصيتين والمجتمع الذي يعيش فيه، أو بين فكرة وفكرة أخرى، كما يمكن أن يكون داخليا، داخل النفس الإنسانية أو مزيجا بين الصراع الداخلي والخارجي 16 كما " ينمو

ويتطور ويشتد حتى تتأزم الأحداث وتصل إلى نهايتها ويتوقف نجاح مسرحية الصراع على قوة الشخصية وحالتها" 17

إن الصراع هو العصب الحساس الذي لا يمكن للمسرحية الاستغناء عنه، يبدأ مع بداية الأحداث في المسرحية، لكنه لا يظهر منذ البداية بل يسير مع الحدث، وينتهي بانتهائه الصراع في مسرحية لالا فاطمة نسومر متنوع بين الصراع الاجتماعي والسياسي بين المبادئ والقيم، تجسد الصراع الداخلي في أذهان الشخصيات، أما الصراع الخارجي فبين لالا فاطمة وإخوتها، وبين المستعمر، وبين زوجة أخيها أمينة، وبين لالا خديجة وأولادها . ومثال ما بينها وبين إخوتها:

فاطمة: إلى متى تظلون حجارة مسندة؟

سي الهادي: وما تريد أن نفعل يا فاطمة؟

فاطمة: لم تجد ما تقول، خالك يقتل، قبيلة بكاملها تنمحي من على وجه البسيطة لو رأيت الذي عشته هناك، ما كلمتني كلام العجائز و البكائين، رجال شيوخ لم يفرقوا بين أحد حتى الصبية الرضع أبادوهم.

سي أحمد: نحن معك في كل هذا، لكن ماذا بوسعنا فعله!؟

فاطمة: الكثير يا سي أحمد، نعلن النفير، وننادي للجهاد، وسوف ترون كيف ستتدافع حشود الناس نحونا، كل ما في الأمر أنهم ينتظرون من يقودهم، وأنتم أجدر بقيادتهم يا أبناء الشيخ محمد بن عيسى.

سي الشريف: كفى يا فاطمة فنحن أهل علم ودين ولا شأن لنا بفنون الحرب والقتال.

فاطمة هه، ليتني كنت رجلا ما لفت نفسي مشقة الجدل مع رجال لا يملكون غير أشباههم وصورهم.

سي الطاهر: ما هذا يا فاطمة !سكتنا عنك فتماديت في الخط من قيمة إخوتك ، إن الفرنسيين بعيدون عنا، كما أنهم لن يفكروا في غزو ما تحت أقدامنا من أرض، فهي جبال مقفرة. 18

فاطمة: لا لا لست أنت أخي سي الطاهر، أنت آخر من كنت أتوقعه ينحو منحى البكائين..

لو كان أبي حيا لقاد بنفسه فيالق المجاهدين إلى ساحات القتال لتحرير الأرض من المغتصبين.

سي الشريف: لو كان أبوك حيا لرأى رأينا وكان له معك تصرف آخر.

"في هذه اللحظات يدخل الأخ الأكبر سي محمد الطيب"

سي الشريف:هاهو أخوك سي محمد الطيب يعرف كيف يكلمك يا فاطمة.

" ينظر إلى أخيه سي الطيب قائلا: تعالى لتلحق أختك فتنظر ما حل بها يا سي الطيب.

فاطمة: ماذا حل بي؟ بل ألقوا أنتم أنفسكم يا أشباه الرجال.
سي محمد الطيب: والله لقد تماديت كثيرا يا فاطمة، ولا يغرنك منا سكوتنا وطول حلمنا فإنما ذاك لأن أباك رفع لك قدرا ما ناله واحد منا ولا ندري الساعة ما نفعل وقد زاد بك الأمر حتى بلغ حدا لا يطاق.

أما فيما بين الأم وأبنائها:

الأم لالة خديجة: كفى، لأنها فتاة يا سي الطيب تفعلون معها هذا، ماذا لو كانت رجلا مثلكم! أراكم تتعاملون عليها كما أرى الساعة؟ كنت أتمنى أن تكونوا يدا واحدة مع أختكم الوحيدة، لكن خاب ضني فيكم، خاب ضني فيكم...

سي الطاهر: تعقلي يا أماه، ما هذا بالكلام! إنها أختنا، لحمنا ودمنا، هي ابنتك ونحن أبنائك، إنما حَزَّ في نفوسنا أن نجد منها ما سمعت ورأيت. 19

من خلال هذا الحوار نلمس صراعا خارجيا قويا تجسد في نفس أمينة، ويتداخل الصراع مع سي الطاهر الذي وقف في المنتصف لينتهي بالمصالحة بين لالا فاطمة وأمينة وخروج سي الطاهر باكيا من شدة المنظر المؤثر.

أمينة: الطاهرة هه؟

"ويرفع سي الطاهر يده ليصفعها مرة أخرى عندها تدخل فاطمة وتسرع لتمسك بيده قائلة

لالة فاطمة: ما دهاكما حتى تتشاجرا هكذا، ما أصابكما؟

أمينة: أصابتنا عين حاسدة.

سي الطاهر: ويلك!

أمينة: والله لقد أذليتني يا سي الطاهر، طلقني، طلقني.

سي الطاهر: أنت طا...

"تمسك فاطمة على فمه"

لالة فاطمة: أرجوك لا تنطقها فإنها بغیضة ومنغصة.

أمينة: بل دعيه، أريد أن ينطقها، ألا تفهمين يا امرأة، أنت السبب، منذ جئت هذا البيت، دخلت من باب والسعادة خرجت من الآخر لقد هدمت كل شيء بيننا.

لالة فاطمة: لماذا لم تقولي ذلك عند مجيئي، لما أخفيت عني كل هذا؟

سي الطاهر: كفي يا امرأة، كفي سمومك. 20

أما الصراع الكبير هو صراع لالا فاطمة مع المستعمر، والذي يبرز من خلاله قرقوة دور المرأة البطلة المكافحة التي تملك روح العزيمة والإصرار والتحدي والوقوف في وجه المستعمر، حيث تجسد الصراع بشكل واقعي وظف فيه "إدريس قرقوة" الكثير من تفاصيل الثورة

الحقيقية كالشجاعة والإرادة والحماس الذي تحلى به أهل القرية وخاصة لالة فاطمة نسومر، والمنظر الثامن عشر يوضح هذا الصراع.

الحاكم العام: لقد وصلني تقريرك أيها الجنرال ماكماهون وتفهمت ما فيه وبعثت نسخة إلى وزارة الحربية بباريس وأتمنى أن يتفهموا الموقف.

ماكماهون: سيدي لم نكن نتوقع ذلك العدد الهائل من الرجال في أرض مثل تلك، ضف إلى ذلك انضمام الشيخ بوبغلة إليها وقد كدنا من إحراز نصر ساحق عليها.

راندون: إنها ليست امرأة بعقل امرأة سيدي، لكنها رجل بعقل عشرة رجال، بإشارة من إحدى يديها تحرك جيشها الوجهة التي تريد، وقد سمعت جنودي يلقبونها بجاندارك الجزائر.

الحاكم العام: هاهاها، جاندارك، لقد أعطيتها لقباً ليس من حقها أيها الجنرال. **راندون:** لو كنت معنا في المعركة سيدي وشاهدتها كيف تقود فرسانها، لعرفت أن جاندارك لا تملك إلا أن تكون تلميذة أمام عبقريتها الحربية. 21

الجنرال جوزيف: إن هذه المرأة لو تركت تصول وتجول بين أهالي جبال القبائل لفترة من الزمن سيستعصي علينا القضاء عليها، إذا التف حولها العرب والبربر بحكم قتالها لنا الذي أخذ صبغة دينية.

من خلال هذا الحوار يبدو أن المستعمر كان يحسب ألف حساب لتلك البطلة والتي أدخلت الرعب في قلوبهم.

وتجسد الصراع بكثرة في المسرحية، لأن الحدث لا يتطور ولا يتقدم في هدوء وبرودة وإنما تحت ظل من الصراع حيث قدم "إدريس" صورة فنية متكاملة عن مسرحية "المرأة الصقر" حيث وضع إرادة وعزيمة أهل القرية من كفاح ونضال وتحقيق للنص وهكذا ظل الصراع العمود الفقري للعمل المسرحي، فالصراع يسير مع الحدث من بدايته حتى نهايته.

5 - بناء الشخصية الفاعلة ودورها في تشكل البناء الدرامي:

الشخصية : هي الأداة المحركة للعمل المسرحي فهي "جملة من الصفات الجسمية والعقلية والنفسية والاجتماعية والخلفية التي تميز الشخص عن غيره من الناس تميزاً خاصاً وواضحاً" 22 أي أن الشخصية تتميز عن الشخصيات الأخرى في طريقة تعاملها وتصرفاتها فهي عنصر ثابت في العمل المسرحي، وهي من الينابيع التي تلهم الكاتب المسرحي وتمده بفكرة المسرحية أو تحفزه على الكتابة، فقد تلح على الكاتب فكرة شخصية أو عدة شخصيات 23 فهي المحرك الأساسي للفعل المسرحي الذي يحدد الحبكة والحوار 24

يعيش القارئ مع المسرحية ويفهم معناها وقصدها من تلك الحركات والأفعال والأقوال التي تقوم بها الشخصيات، لأنها تكشف عن نفسها وتعبّر عنها مثل الباشا الذي يستلم المنظار

من العقيد، وأحد الجنود الذي يطلق الرصاصة، وإصدار العقيد للأوامر، وإخبار الباشا العقيد عن هذه المرأة. كما يبين لنا هذا المقطع شجاعة فاطمة وبطولتها. إنها شخصية تصنع الحدث، وتشكل مع الحدث متلازمة واحدة. لأنها محور تحريك الصراع كما تكشف عن دلالات الحدث المسرحي، وتعبّر عن هذه الدلالات المراد إيصالها للمتلقى، فلا يمكن تصور أي عمل مسرحي بدون شخصيات فاعلة ومتفاعلة مع الحدث المسرحي وعن طريق الحوار الصاعد تتضح معالم الشخصية شيئاً فشيئاً، من خلال دورها في العمل المسرحي، وتطوّر الحدث وتساعد الصراع بين الشخصيات. " فالحدث والصراع هما اللذان يكشفان عن طبيعة الشخصية المسرحية" 25 وهو ما ظهر جلياً في تصرفات فاطمة وأقوالها وأفعالها، وعدت من " أهم عناصر المسرحية وأقدها إثارة لاهتمام المشاهد، لأن سلوك الشخصية وما تأتية من أفعال وتصرفات في بعض المواقف خير وسيلة تفصح عن طبيعة الشخصية وقيمتها وتكوينها النفسي" 26 لها حضور قوي ومؤثر في سير الأحداث حتى تصل إلى الصراع. وهي المحرك الأساسي للأحداث، لأنها تمثل النموذج الحي للشرف والكرامة، حيث جعل منها إدريس قرقوة مثلاً يحتذى به في الشجاعة والإقدام والإخلاص لمبادئها ولأصدقائها وإخوتها وقبيلتها، محبة للخير، صريحة إلى أبعد الحدود، قوية الإرادة، سيدة في قومها، صبورة ذات حلم، شديدة الإيمان بالله ومتسامحة، راجحة العقل، متينة، عفيفة طاهرة، مصلحة اجتماعية، مجاهدة، قدوة كل نساء القبائل.

يساعدها في ذلك شخصيات لها أثر بالغ في تحريك الأحداث، تقوم بأدوار تضاهي دور البطل مثل:

سي أحمد: عرف بجرأته وقوته على مواجهة الظلم، كان دائماً يفكر في أهل قبيلته، ذكي، محارب ومناضل شجاع وقوي، تميز بالهدوء ويبقى الحب والاحترام والتواضع من صفاته،
سي محمد الطيب: كبير العائلة، حكيم كان يداوي المرضى بالرق، راجح العقل كان يحل قضايا الناس ، عرف بالكرم والطيبة" 27

سي الهادي: شخصية جذابة، تملك القدرة على التأثير الإيجابي في الشخصيات، بطل حقيقي تشغله هموم وطنه، محب للخير وخدمة مصالح الآخرين فهو أهل للثقة، شخصية نضالية يتميز بالذكاء والفطنة والشجاعة والجرأة والحماس تميز بحبه لأهل قبيلته وإخلاصه لها ، ذكي ومخلص لوطنه.

سي الشريف: عرف ببساطته وتواضعه وحبه للخير، ولم يتأخر يوماً عن إسداء النصائح لأهل القبيلة، كان محبوباً يساعد المحتاجين والفقراء والأرامل.

سي الطاهر: سيد القوم، مقدم القبيلة، مرابط، أبي أنوف، غيور على أهله، ذو صرامة، سريع الانفعال، مرهف الحس.28

خلاصة القول إن الحدث الدرامي الذي اعتمده الكاتب المسرحي إدريس قرقوة، يرتبط بالتاريخ في جانبه الزمني ، وقد وظفه الكاتب في تعانق بين فكرته التاريخية، وبين مكونات ومكونات الشخصية المسرحية، ليكشف حقيقتين، طبيعة المرأة عموما، والجزائرية على سبيل الخصوص، كيف تتخذ من الصراع الدرامي ذي الاتجاهات الأربعة، سبيلا لإثبات الذات، فكأنها تصارع القدر، لتحيا وفق ما تريد لا وفق ما يراد لها، وهو ما يجسد الصراع العمودي عادة في المسرحية، وبينها وبين أفراد مجتمعتها، وهو ما يسمى بالصراع الأفقي، وبينها وبين مصيرها المحتوم، في الزواج وقبول أي رجل، وهو ما يسمى بالصراع الديناميكي، وبينها وبين نفسها فيما تريد تحقيقه من طموحات لا تتلاءم مع طبيعة الأنثى عموما وهو ما يسمى بالصراع الداخلي، وقد وفق الكاتب أيما توفيق في هذا الباب.

الهوامش :

- 1 - إدريس قرقوة، لالا فاطمة نسومر (المرأة الصقر)، دار الغرب للنشر والتوزيع، ط2، ص18.
- 2 - المصدر نفسه، ص21،23،22.
- 3 - المصدر نفسه، ص24.
- 4 - المصدر نفسه، ص111،112.
- 5 - سمير سرحان، مبادئ علم الدراما، سمير سرحان، مبادئ علم الدراما، هلا للنشر والتوزيع، ط1، 2000 ، ص54.
- 6 - عز الدين جلاوي، النص المسرحي في الأدب الجزائري، دراسة نقدية وزارة الثقافة، الجزائر(د/ط) 2007، ص143.
- 7 - إدريس قرقوة، لالا فاطمة نسومر (المرأة الصقر)، ص33، 34.
- 8 - المصدر نفسه، ص35،36.
- 9 - المصدر نفسه، ص179،180.
- 10 - المصدر نفسه، ص181.
- 11 - المصدر نفسه، ص189.
- 12 - المصدر نفسه، ص213.
- 13 - فرحان بلبل، النص المسرحي الكلمة والفعل، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق 2003، ص54.

- 14 - أحمد صقر، مقدمة في نظرية المسرح الفكري مع التطبيق، مركز الإسكندرية للكتاب، 2002 ، ص158.
- 15 - رشاد رشدي، فن كتابة المسرحية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د/ ط، د/ ت، ص32.
- 16 - المرجع نفسه، ص44.
- 17 - عمر الدسوقي، المسرحية نشأتها وتاريخها وأصولها، دار الفكر العربي القاهرة، ط1، 2003، ص336.
- 18 - إدريس قرقوة، لالا فاطمة نسومر (المرأة الصقر)، ص22.
- 19 - المصدر نفسه، ، ص25.
- 20 - المصدر نفسه، ص82.
- 21 - المصدر نفسه، ص135.
- 22 - عبد الرحمن الوافي، مدخل إلى علم النفس، دار هومة، ط2، 2007م، ص181.
- 23 - عمر الدسوقي، المسرحية نشأتها، تاريخها أصولها، ص175.
- 24 - محمد مصطفى كمال، موسوعة المسرح العربي، دار المنهل اللبناني، بيروت، ط1، 2013، ص34.
- 25 - نصر محمود عباس، فن الدراما المسرحية، رؤية تاريخية نقدية، الناشر: مكتبة الآداب، علي حسن، ط1، 2011، ص51.
- 26 - عبد القادر القط، من فنون الأدب المسرحية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت 1978، ص21.
- 27 - إدريس قرقوة، لالا فاطمة نسومر (المرأة الصقر)، ص135.
- 28 - المصدر نفسه، ص136.